مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٥، العدد ١، ربيع ١٤٤٠هـ
صفحة ٩٥-١١٤ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

دراسة الملامح الصوتية والنحوية في سورة الحشر المباركة
من منظار الأسلوبية

بهروز قربان زاده*

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة مازندران، بابلسر، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/١٠/١٣؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٤/٩)

الملخّص

إنّ الهدف الرئيس لعلم الأسلوب هو دراسة الظواهر المنزاحة في النص الأدبي والكشف عن جمالياتها ومن ثمّ يسعى هذا البحث إلى توظيف الأسلوبية في دراسة سورة الحشر المباركة بوصفها نصاً قرآنياً في غاية الشعرية من خلال المحورين؛ الأول: النسق الصوتي لصفات الحروف بهدف ربط الملامح الصوتية لها بالسياق الدلالي للآية وكذلك تكرار صوت "الألف" وتنسيق الصفات الذي يعدّ صنعة تؤدّي بالضرورة إلى الانزياح. أمّا المحور الثاني للدراسة فقد انصب الاهتمام بدراسة عدد من الظواهر اللغوية التي بدت مخالفية للمقيس من كلام العرب للكشف عن حقيقة هذه الظواهر منها ظاهرة التناوب بأنواعها المختلفة، وأساليب القصر، والتقديم والتأخير، والالتفات. في المستوى الصوتي، تبيّن لنا أنّ القرآن الكريم استعمل في الصور العذابية مجموعة من الألفاظ الغليظة المرعبة، الموحية بالغضب الإلهي، كما أنّ القران لجأ إلى توظيف الألفاظ ذات الصفات الهادئة المسرة في الصور الرحمانية أمّا في المستوى النحوي فقد ظهر لنا أنّ الغرض الرئيس من توظيف "التناوب" هو التوسّع للمعاني والإيجاز في التعبير كما أنّ "الالتفات" مثّل انزياحا أسلوبيا أسهم إلى حد كبير في كسر توالي الخطاب، وكان له دور مهم في مفاجأة المتلقي.

الكلمات الرئيسة

سورة الحشر، الأسلوبية، موسيقى الحروف، التناوب.

---

* الكاتب المسؤول
Email: b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir

مقدمة

إن النص الأدبي يتشكل من النسيج اللغوي واللغة هي جزء أساسي لتكوينه، غير أن النص إذا كان قرآنياً تلعب اللغة دوراً أكثر أهمية وأشد ديمومة بالنسبة إلى النصوص الأخرى؛ لأنّ النص القرآني كثيراً ما له أسلوب يحتوي على انزياح يخرج به عن القاعدة. ونستطيع أن نضرب على ذلك مثلاً فنقول: إذا قلنا: "غطى الظلام الأرض" و"جاء الصباح" فإننا بهذا نتكلّم كما يتكلّم كل النّاس. فالعبارتان الّتان تمّ النطق بهما عبارتان حياديتان، والتعبير فيهما يقف عند حدود الدرجة صفر من القول. ولكن عندما نقول كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّيلِ إِذَا عَسعَسَ**﴾ (التكوير/١٧) وعبارة ﴿**وَالصُّبحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾ (التكوير/١٧)، فإننا نسجّل بهذا حدثاً أسلوبياً. وذلك لأنّ السمات النحوية التي تتضمنّها الأفعال "تنفّس" و"عسعس" هي غير السّمات التي تتضمّنها الأسماء "الصبح" و"الليل". وإذا كانت المناهج في نقد النص القرآني متنوعة متعددة غير أننا اخترنا المنهج الأسلوبي لبحثنا هذا؛ إذ إنه من أحدث المناهج النقدية التي تسعى إلى معاينة النصوص الأدبية بالاعتماد على النسيج اللغوي والأسلوبية التي هي موضوع بحثي مصطلح مركب من جذر وهو "أسلوب (style) ولاحقته "ية" (ique) فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي وبالتالي نسبي، واللاحقة تختص فيما تختص به بالبعد العلماني العقلي وبالتالي الموضوعي. ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة: علم الأسلوب science du (style) لذلك تعرف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب. (المسدي، لا تا: ٣٤) أما في المقالة هذه فقد اعتبرت الأسلوبية أساسا للبحث والنقد وتهدف إلى استجلاء الظواهر الأسلوبية في سورة" الحشر" وقد جاءت في هيكلها العام على مقدمة ومستويين اثنين حيث دخلنا إلى المستوى الأول وعنوانها المستوى الصوتي، حاولنا دراسة مستويات الإيقاع في سورة الحشر من خلال بعض مصادر مثل صفات الحروف، تنسيق الصفات وموسيقى، أما المستوى الثاني فقد عنّوناه بالمستوى النحوي وقد خصصنا به أربعة مباحث؛ الأول: ظاهرة التناوب والثاني: التقديم والتأخير، والثالث: القصر، أما الجانب الأخير في الجوانب التحويلية هو "الالتفات أو المخاطبة" وأخيراً، فهذا البحث محاولة للتأصيل النظري والتطبيق العملي في مجال البحث الأسلوبي النحوي وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه السورة لم تدرس من قبلُ على أساس الأسلوبية وهذه الدراسة ستختص فيها وستحللها تحليلا وصفياً بحيث تستخرج الدراسة ما وراء النص القرآني من دلالات ومعان كبيرة في سورة "الحشر".

إشكالية البحث

إن هذه الدراسة تحاول أن تجيب على طائفة من الأسئلة وهي كما يلي:

١. ما هي ميزات الأسلوبية الصوتية في سورة الحشر؟

٢. ما هي الجوانب التحويلية في الأسلوبية النحوية في سورة الحشر؟

دراسات سابقة

تعددت الدراسات القرآنية، والبحوث اللغوية، التي جعلت من نصوص آيات القرآن مرجعًا لها، منها:

- "دراسة لغوية وأسلوبية لسورة لقمان" كتب هذه المقاله المؤلفان: علي رضا محمد رضايي وسيدة سكينة حسيني وتمّ طبعها في مجلة اللغة العربية وآدابها. تدرس هذه المقالة السُّورة على أساس المنهج الفني دراسة لغوية وأُسلوبية فهي تعالج الموضوع أُسلوبياً؛ أي تدرس فيها القيم اللغوية وبعدها الدلالي، والقيم التركيبية وبعدها التعبيري، والقيم الجمالية وبعدها التأثيري.

- "سورة الواقعة دراسة أسلوبية" للكاتب بلال سامي عام ٢٠١٢ في جامعة الشرق الأوسط. تناولت هذه الدراسة سورة "الواقعة" وفق المنهج الأسلوبي الذي يتخذ بمستوياته المختلفة في الدرس اللساني الحديث (الصوتي، الصرفي، النحوي، والبياني) إضافة إلى الجوانب النفسية.

- "نگاهي سبك شناختي به سوره يس با تكيه بر ديدگاه‌هاي ساختارگرايي" كتب هذه المقالة الكتاب: علي خضري، رسول بلاوي، آمنة فروزان كمالي. عالج الكتاب هذه السورة من منظار الأسلوبية في ثلاث مستويات منها: الصوتي والتركيبي والدلالي.

- "ظاهرة الانزياح في سورة النمل دراسة أسلوبية" للطالبة هدية جيلي التي كتبتها عام ٢٠٠٦م في جامعة منتوري"قسنطينة" فجعلت عملها محاولة رصد الانزياحات الواردة في سورة "النمل"المتعلقة بالجانب الصوتي، الصرفي، التركيبي والدلالي مع البعد التداولي.

- مقالة "الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبيه الانزياح" للكاتبة آفرين زارع، مجله دراسات في اللغة العربية وآدابها، عام ٢٠١١م. استهدفت هذه المقالة بوضع اصبعها على إعجاز القرآن معالجة مدى استيعابيته من خلال دراسة نماذج من النص الشريف

دراسة وصفية- تطبيقية على أسلوبية الانزياح بأنواعه الثلاثة: الاستبدالية والتركيبية والصوتية. أمّا بالنسبة لمقالتنا هذه فتجدر الإشارة إلى أنّها عالجت أبرز الملامح الأسلوبية في سورة "الحشر" من خلال المحورين: الصوتي والنحوي فقط، حيث درست العلاقات الترابطية بين صفات الحروف وما تفصح عنه تلك الأصوات من معان ودلالات وكذلك بعضاً من السمات التي خلقت حدثاً أسلوبياً في هذه السورة كتنسيق الصفات، ثمّ تطرّقت المقالة إلى المستوى النحوي بمعالجة ما اختصت به السورة من تراكيب وظواهر نحوية أكثر بروزاً منها: التناوب والالتفات وإلخ.

تحديد المصطلح

يكثر تردد الأسلوب[1] والأسلوبية[2] في الدراسات الأدبية واللغوية الحديثة وبشكل خاص في علوم النقد الأدبي والبلاغة وعلم اللغة. تتخذ الأسلوبية من المناهج اللسانية والبلاغية والنقدية والأدبية منطلقات ومذاهب لتلمس معطيات النص. إنّ الأسلوبية بوصفها منهجاً نقدياً أدبياً ترجع نشأتها إلى التطورات التي لحقت بالدراسات اللغوية والبلاغية والنقدية في بدايات القرن العشرين وكان ذلك ناتجاً عن تطور الدراسات اللغوية الحديثة التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علماً يدرس لذاته أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي. (درويش، لا تا: ١٨) وهذا المصطلح « هو الذي يطلق عليه في الانجليزية stylistics وفي الفرنسية la stylistique والباحث في الأسلوبية stylistician» (عبد المطّلب، ١٩٩٤: ١٨٥). ويعد "شارل بالي" المؤسس الأول لعلم الأسلوب، وإن كان قد استفاد كثيراً من أفكار "دي سوسير" واضع الثنائية المشهورة باللغة والكلام. وأما الأسلوبية فهي علمٌ يدرس اللغةَ ضمن نظام الخطاب. ولكنها أيضاً علم يدرس الخطاب موضعاً على مبدأ هوية الأجناس؛ لذلك كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، ومتنوع الأهداف والاتجاهات. (عياش، ١٩٩٠: ٣١) وأيّاً ما كان الأمر فإنّ الأسلوبية في إجراءاتها النقدية لابدّ من اتباع مستويات لدراسة النص. أولها المستوى الصوتي. وهو الذي يتناول فيه الدارس ما في النص من مظاهر الإتقان الصوتي ومصادر الإيقاع فيه. ويتناول الدارس الأسلوبي في المستوى المعجمي استخدام المنشئ للألفاظ وما فيها من خواص تؤثر في الأسلوب كتصنيفها إلى حقول دلالية

1. Style
2. stylistics

ومعرفة أي نوع من الألفاظ هو الغالب ويدرس الناقد أيضاً طبيعة هذه الألفاظ وما تمثله من انزياحات في المعنى. ومن هنا نستطيع القول إن المستوى الثاني في الدراسة الأسلوبية يهتم بالألفاظ. ويجيء المستوى الثالث من الدراسة للاهتمام بالتراكيب، وتصنيفها، وتكشف عن عدول الشاعر عن النمط العادي في رص الجملات بالتقدم والتأخر والحذف والالتفات وهنا يأتي دور الأسلوبية النحوية في دراسة العلاقات والترابط والانسجام الداخلي في النص. أمّا البنية التعبيرية الجمالية فهي تدرس في المستوى الدلالي فتتساءل عمّا يوحّد كل هذه العناصر والصور المجازات والاستعارات وآخر ما يتأمل في الدارس الأسلوبي هو المستوى الفكري. (محمود خليل، ٢٠١١: ١٦٥-١٦٦) أمّا في هذه المقالة تم التركز على المستويين: الصوتي والنحوي من المستويات الخمسة للدراسة والتحليل.

المستوى الصوتي

الدراسة الصوتية تعد المحور الأول للدخول إلى النص الأدبي فالصوت هو الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها النص الأدبي، لأنَّ الألفاظ أصوات ذات جرس نتخذها كوسيلة للتعبير عن الدلالات أو الخواطر التي تجول بأذهاننا. (الخولي، ١٩٦١: ٢٦٧) إنّ منابع الموسيقى الظاهرة في الكلام الأدبي معروفة تماما، فهناك: أولا: الموسيقى النابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، والحروف أصوات متفاوتة الجرس، يقرع بعضها بعضا حين تجتمع في اللفظ، وينتج عن تناغم قرعها سلم موسيقي جميل. (عاصي، لا تا: ١٢٢) ثانيا: الموسيقى النابعة من تآلف مجموعات الموسيقى اللفظية حين ينتظمها التركيب في الفقرات والجمل، فالألفاظ المفردة تقرع الألفاظ المفردة المجاورة لها سابقا ولاحقا، وينجم عن تناسق تقارعها سلالم موسيقية جميلة. (عاصي، لا تا: ١٢٢) وتستند موسيقى التركيب النثري في سورة الحشر على مرتكزين: أولاً: انسجام الألفاظ وتآلف أصواتها، وقد بحثه القدماء تحت عنوان فصاحة الألفاظ مفردة ومجتمعة. ثانياً: الإيقاع الموسيقي الذي ينشأ من وجود بعض المحسنات البديعية في التركيب.

موسيقى الحروف

من أهداف القرآن الرئيسية، تجسيد المعاني من خلال اختيار الألفاظ التي تلائم مقتضى الحال حتى تؤثر في السامعين وتجعلهم يعيشون الموقف بأوضح صورة وأجمل بيان. امّا حول موسيقى الحروف ففي البداية نبحث إجمالا عن صفات الحروف وتقسيماتها من حيث القوة والضعف كي

نعرفها ونتميز الصفات القوية من الصفات الضعيفة. أقسام الصفات من حيث القوّة والضّعف تنقسم قسمين: صفات قويّة وصفات ضعيفة. فالصفات القوية اثنتا عشرة صفة وهي: الجهر، والشدّة، والاستعلاء، والإطباق، والإصمات، والصفير، والقلقلة، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة، والغنة. وأقواها: القلقلة، فالشدّة، فالجهر، فالإطباق، فالاستفال، فالباقي والصفات الضعيفة ست وهي: الهمس، والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والذلاقة، واللّين. أمّا صفات التوسط فلا توصف بقوة، ولا ضعف. والأحرف الشديدة ثمانية هي: الألف والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء. وأمّا الحروف الرخاوة فهي خمسة عشر حرفاً هي: الهاء والغاء والعين والخاء والسين والشين والصاد والضاد والظاء والثاء والذال والزاي والياء والواو والفاء. والحروف المتوسطة بين الشدّة والرخاوة هي خمسة اللام والنون والعين والميم والراء. (زرقة، ١٩٩٣: ٩٠-٩٣) أمّا بالنسبة إلى موسيقى الحروف في هذه السورة فنجد الجرس الموسيقي من خلال تصور المعنى يختلف من حين إلى آخر، «فالدلالة الصوتية دلالة تستنبط من الأصوات التي تتألف منه الكلمة وتختلف دلالة الكلمات بحسب طبيعة الأصوات، وشدّة الصوت وجره تدلّ على معنى قوي وأيضاً رخاوة الصوت تدلّ على معنى فيه رقّة ولين» (محمدرضايي والحسيني، ٢٠١٦: ٥٦٢) وفيما يأتي ذكر بعض أنواع هذه الصور:

- الصورة العذابية

استعمل القرآن الكريم في الصور العذابية مجموعة من الألفاظ الغليظة المرعبة، الموحية بالغضب الإلهي التي تؤدي إلى اضطراب النفس، والقلق الشديد جرّاء سماع هذه الألفاظ منها قوله تعالى في الآية الرابعة: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُم شَاقُّوا اللهَ وَرَسولَه وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (الحشر/٤) قال الراغب حول مادة"شق": والشقاق: المخالفة، وكونك في شق غير شق صاحبك، أو من: شق العصا بينك وبينه. (الراغب، لاتا: مادّة ش د د) قال تعالى: ﴿**وَإِن خِفتُم شِقَاقَ بَينَهُمَا**﴾ (النساء/٣٥) إذا أمعنّا النظر في حروف هذه المادة من حيث الصفات التي تضمها كل حرف نصل إلى هذه الإحصائية تحتوي حرف الشين على صفتين قويتين وهما الإصمات والتفشي وعلى أربع صفات ضعيفة وهي الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح. تشتمل حرف القاف على خمس صفات قوية وهي الجهر والشدة والإصمات والاستعلاء والقلقلة وعلى صفة ضعيفة وهي الانفتاح فهذه المادة المكررة العين واللام تشتمل على ثماني عشرة صفة اثنتا عشرة منها قوية وستة منها ضعيفة فهي كلمة قوية من حيث التلفظ بها

وتلائم الحروف المستخدمة في هذه المادة المعاني القوية الضخمة الموجودة في هذه الكلمة. من المواطن الأخرى التي نرى الصورة العذابية فيها هي الآية الكريمة التالية، حيث قال تعالى: ﴿**بَأْسُهُم بَيْنَهُم شَدِيدٌ**﴾ (الحشر/١٤) قال الراغب حول هذه المادة: الشد: العقد القوي. يقال: شددت الشيء: قويت عقدة، والشدة تستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب. (الراغب، لا تا: مادة ش د د) إذا تتبعنا الصفات الموجودة في هذه المادة نجد أنّ الصفات القوية فيها أكثر من الصفات الضعيفة حيث إنّ الشين يتضمن على صفتين قويتين وهما الإصمات والتفشي وعلى أربع صفات ضعيفة وهي الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح. يحتوي حرف الدال على أربع صفات قوية وهي الجهر والشدة والإصمات والقلقلة وعلى صفتين ضعيفتين وهما الاستفال والانفتاح. فهذه المادة المضعفة العين واللام تشتمل على ثماني عشر صفة عشرة منها قوية وثمانية منها ضعيفة فهي كلمة قوية من حيث التلفظ بها.

- الصورة الرحمانية

نجد القرآن في هذه المرحلة ينتقل من الألفاظ الغليظة، المرعبة إلى الألفاظ الهادئة المسرة فتكون النغمة هنا كالماء البارد.

الذي يتناوله الإنسان وهو في رمضاء الصحراء فلننظر كيف تصور لنا هذه السورة الكريمة صفة الرحمانية في الآية الكريمة: ﴿**هُوَ اللهُ الذي لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ هُوَ عَلِمُ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ (الحشر/٢٢) قال الراغب عن مادة "رحم" ما نصه: والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف والرحمن والرحيم، نحو: ندمان ونديم، ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث إنّ معناه لا يصح إلا له، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة، والرحيم يستعمل في غيره وهو الذي كثرت رحمته. (الراغب، لا تا: مادة ر ح م) وقيل: إنّ الله تعالى: هو رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة، فنجد في معنى هاتين الكلمتين شيئا من الليونة والرقة وهذا يناسب الصفات الموجودة في مادة هذه الكلمة وإذا أمعنا النظر في صفات مادة "رحم" وصلنا إلى هذه الاحصائية: يشتمل حرف الراء على ثلاث صفات قوية وهي الجهر والانحراف والتكرير وعلى أربع صفات ضعيفة وهي التوسط والاستفال والانفتاح والإذلاق. يحتوي حرف الحاء

على صفة قوية وهي الإصمات وعلى أربع صفات ضعيفة وهي الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح. يضم حرف الميم صفتين قويتين وهما الجهر والغنظ وأربع صفات ضعيفة وهي التوسط والاستفال والانفتاح والإذلاق. فمادة هاتين الكلمتين تضم ثماني عشرة صفة ستة منها قوية واثنتا عشرة منها ضعيفة فهما كلمتان ضعيفتان من حيث الصفات الموجودة فيهما وناسب هذه الصفات المعنى الذي ذكر في تفسيرهما.

- الصورة التربوية

وهنا نجد القرآن يرسم لنا صورة تربوية سلوكية تكون منهاجاً يهتدي به الإنسان. هناك بعض الكلمات تدل على معنى المساواة والمكافأة والعدالة نحو كلمة جزاء في قوله تعالى: ﴿**فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ (الحشر/١٧) قال الراغب حول "جزي": الجزاء الغناء والكفاية ويقال جزيته بكذا وجازيته ولم يجئ في القرآن إلا جزي دون جازي وذلك أن المجازاة هي المكافأة وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤه. (الراغب، لا تا: مادة ج ز ي) وإذا أمعنا النظر في الصفات الموجودة فيها نرى نقطة هامة جداً وهي أن الصفات القوية والضعيفة استعملت على حد سواء في كلمة جزاء التي تدل على المساواة والعدالة. فالجيم تحتوي أربع صفات قوية وهي الجهر والشدة والأصمات والقلقلة وعلى صفتين ضعيفتين وهما الاستفال والانفتاح والزاي تضم ثلاث صفات قوية وهي الجهر والاصمات والصفير وعلى ثلاث صفات ضعيفة وهي الرخاوة والاستفال والانفتاح والياء تشتمل على صفتين قويتين وهما الجهر والاصمات وعلى أربع صفات ضعيفة وهي الرخاوة والاستفال والانفتاح واللين فهذه الكلمة تحتوي ثماني عشرة صفة تسعة منها قوية وتسعة منها ضعيفة.

ظاهرة التكرار

أما التكرار فهو من أهم الطرق التي جاءت في الأسلوب القرآني وله قيمة خاصة في خلق الموسيقى الداخلية لذلك قد خصصناه بالبحث والدراسة لأن له أثراً عظيماً في تأدية المعنى وتفسير الفكرة.

التكرار الصوتي

إن الحركات تعتبر عاملا أساسيا في التناسق العجيب بين الكلمات، والانسجام بينها داخل السياق، ومع دلالات الألفاظ والتراكيب، والتوافق مع الحالة النفسية للمتلقين، أو المقصودين في الخطاب وإنه على مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت، يكون فيه من روح

البلاغة. (الرافعي، لا تا: ٢٢١) قال تعالى في كلمة التوحيد: ﴿**هُوَ اللهُ الذي لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ هُوَ**﴾ (الحشر/٢٢) فإنك تمد الحركة الطويلة ـ ألف المد ـ في كلمة "لا" مدا بالقصر أو التوسط أو الطول، ويسمى مد التعظيم، تعظيم الله تعالى وذلك لما نفت الآية عن سواه الألوهية، ناسب أن يمد الأصوات للصدع بإثباتها لله تعالى وبقصد المبالغة في نفي الألوهية عن غير الله سبحانه وتعالى. إن الحركة الطويلة ـ ألف المد ـ تكررت في هذه الصورةكثيرة وهي نسبة عالية بالنظر إلى باقي الحركات المدة الطويلة ومن بعض ميزاتها وأحسنها كيفية تصوير حالة الكفار والظالمين في قوله تعالى: ﴿**فَكانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا في النَّارِ خَالِدَينِ فِيهَا وَذَلِك جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ (الحشر/١٧) نلاحظ من خلال هذه الآية الكريمة تكاثف الحركة الطويلة ـ ألف المد ـ وهذا التكثيف الصوتي للهذه الحركة يرينا ميزان ما مدى من التحسر والندامة من قبل الظالمين.

تنسيق الصفات

من أهم الظواهر الإيقاعية في أسلوب هذه السورة الكريمة هو ظاهرة تنسيق الصفات التي اكتسبت عيّنة أسلوبية بسبب كثرة تكرارها فيها وهو يعني توالي العديد من الصفات في نظم خاص، حيث إن هذه الصفات نفسها تخلق الموسيقى الداخلية. (شفيعي كدكني، ١٣٨٦: ٣١٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ اللهُ الذي لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ هُوَ المَلِك القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكبِّرُ سُبحَانَ اللهِ عَمّا يُشرِكونَ**﴾ (الحشر/٢٣) كما نرى، أنّ هذه الصفات العديدة المتتالية، وظفت في سياق معين وخضعت للتناغم والانسجام، لذلك أحدث ضروبا من الموسيقى والنغم، حيث إن هذه الموسيقى التي تنبعث من الصفات المتتالية توجد في النفس طربا وفي الأذن ارتياحاً لا يدرك القارئ في كثير من الأحيان سبباً له. وكذلك نرى هذه الظاهرة في الآية الأخرى، حيث يقول الله تعالى: ﴿**هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى**﴾ (الحشر/٢٤) إن ائتلاف هذه الألفاظ الرقيقة الهادئة، بشكل إيقاعي رائع، يعطيها سمفونياً يولد في نفوسنا نشوة الإحساس بالموسيقى.

المستوى النحوي

يهتم الدارس الأسلوبي في هذا المستوى بالتراكيب، وتصنيفها، وتكشف عن عدول المؤلف عن النمط العادي في رص الجملات بالتقدم والتأخر والحذف والالتفات وهنا يأتي دور الأسلوبية النحوية في دراسة العلاقات والترابط والانسجام الداخلي في النص. (محمود خليل، ٢٠١١: ١٦٥-١٦٦) بمعنى آخر

إنّ الانزياح النحوي يحدث من خلال طريقة في الربط بين الدوال في العبارة أو التركيب أو الفقرة، وتختلف تراكيب العبارة الأدبية عن تركيب الكلام العادي أو النثر العلمي، فالكلام العادي يخلو إفرادا أو تركيبا من كل ميزة أو قيمة جمالية، على عكس العبارة الأدبية فإنها قابلة بأن تحمل في كل علاقة من علاقاتها قيمة جمالية. (قصبجي، ٢٠٠٣: ١٢٠) أمّا الجوانب التحويلية التي قمنا بتحليلها في هذه الدراسة فهي: التناوب، التقديم والتأخير، والالتفات.

التناوب

التناوب هو إحلال كلمة ـ قد تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً ـ محل غيرها مما يناظرها، فتؤدي معناها، وتنوب عنها في السياق. التناوب في اللغة فيه معنى التبادل وتقسيم الأمر الواحد وتوزيعه، وفيه ـ أيضاً ـ معنى الإحلال، أي إحلال شيء محل شيء آخر وجاء أيضاً في لسان العرب: «تناوب القوم الماء، أي تقاسنوه على المقلة وناب الشيء عن الشيء ينوب: قام مقامه» (ابن منظور، لا تا: مادة ن وب). وقيمة التناوب أنه لا يثبت المعنى الكامن في الكلمة الواردة في السياق فحسب، بل تتم في ذات الوقت عملية استحضار للكلمة المنوب عنها، وما ينجرّ عنها من معان، فتحدث عملية مزاوجة بين الكلمتين المنوب عنها والنائبة ومن ثمَّ تزاوج المعنيين، مما يؤدّي في النهاية إلى إثراء المعنى. (سليمان، ٢٠٠٨: ٩١) فالتناوب لا يلغي معنىً بمعنى آخر، بل يثبت معنيين في آن واحد. وقد انقسم التناوب في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام: الأول: التناوب في الأفعال ويسمّى التضمينَ النحوي والثاني: التناوب في الحروف والثالث: التناوب في الجملة.

التناوب في الأفعال ويسمّى التضمينَ النحوي

من الظواهر اللغوية المشهورة التي يلعب فيها المعنى دورا بارزا هو ظاهرة التناوب في الأفعال والتي يسمى أيضا بالتضمين النحوي وهو يعني إشراب فعل معنى فعل آخر ليعامل معاملته، ويجري مجراه كما أشار إليه ابن هشام: «قد يشربون لفظاً معنى لفظٍ فيُعطونه حكمه، وذلك يسمّى تضمينا وفائدته: أن تؤدي كلمةٌ مؤدّى كلمتين» (ابن هشام، لا تا: ٣٠٥). قال الزمخشري: ويضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه مع إرادة معنى المتضمن والغرض من التضمين إعطاء مجموع المعنيين. (الزمخشري، ١٩٨٨: ٥٨١) إن المعيار الرئيسي في التضمين هو أننا لا نقول إن المعنى اللغوي السابق هو عين المعنى الاصطلاحي وإنما نقول أن هناك صلة ما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي مهما كانت طبيعة تلك الصلة، بعبارة أخرى إن المعنى اللغوي يعد قاعدة ينطلق منها المعنى الاصطلاحي للتضمين وهذا لا

يعني أن يتجرد الفعل الأول من معناه ليكسب معنى جديداً، وإنما القصد أن يجمع هذا الفعل بالتضمين بين الدلالتين: دلالته الأولى، ودلالة الفعل الذي أشرب معناه (حامد، ٢٠٠١: ٤١) جاء هذا النمط من التناوب في هذه السورة بأشكال مختلفة منها أفعال تتعدى في الأصل اللغوي بنفسها وتتعدى في السياق بحرف جر مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا**﴾ (الحشر/٣) كما نشاهد أن فعل "كتب" متعدٍّ بنفسه لكن في هذه الآية جاء متعديا بحرف "على" لأنَّ مقصود هنا فعل "قضى" فكأنّ الله تعالى أخذ "على" من فعل "القضى" وعدّى فعل "كتب" بهذا الحرف ليعطي معنى القضى أي «ولولا أن الله تعالى قضى عليهم بالخروج من أوطانهم مع الأهل والأولاد» (الصابوني، ١٩٨١: ٣٤٩/٣). إذا أمعنّا النظر في الآيات الكريمة نرى أن التناوب لا ينحصر بهذا النوع من الأفعال بل توجد أفعال في الأصل اللغوي بمعنى لكن في السياق ترد بمعنى أفعال أخرى مثل قوله تعالى: ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**﴾ (الحشر/٢) إنّ فعل "أتى" في أصل وضعه بمعنى جاء، لكن تغير معناه في هذه الآية وتضمن معنى "عذّب" في سياق النص القرآني. ومن تضمين فعل معنى فعل آخر قوله تعالى: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهُمُ الرُّعبَ**﴾ (الحشر/٢) والقذف الرمي باليد بقوة وغالباً ما استعير للشتم والعيب كما استعير الرمي (الراغب، لا تا: مادة ق ذ ف) لكنه هنا استعير للحصول العاجل أي حصل الرعب في قلوبهم دفعة دون سابق تأمل ولا حصول سبب للرعب فالمعنى: وجعل الله الرعب في قلوبهم فأسرعوا بالاستسلام. (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٧١/٢٨) ومما جاء في كتاب الله على ذلك قوله تعالى: ﴿**ذَاقُوا وَبَالَ أمرِهِم**﴾ (الحشر/٣٠) ذاق الوبال أي: أحسّ به فعل "ذاق" في معناه الأصلي «وجود الطعم في الفم» (الراغب، لا تا: مادة ذوق) وحاسة الذوق بها قوة تدرك خواص الأجسام الطعمية لكنه هنا جاء مصاحباً مع كلمة "الوبال" والتعبير "ذوق الوبال" نوع من تراسل الحواس فهو استعارة لإحساسه؛ والمعنى: ذاقوا سوء عاقبة إجرامهم في الدنيا. (الصابوني، ١٩٨١: ٣٥٤/٣) من هذه الأمثلة يتبين لنا أن دور المقام والسياق يؤثر تأثيراً كبيراً في معنى الكلمة الواحدة فنرى أن اللفظ في اللغة ليس له المعنى إذا كان منفرداً وفي فهم معناه لابد أن نعتبر مكانه في التركيب وملائمته للكلمات المجاورة له ونرى أن اللفظ له معان مختلفة وبعد دخوله في التركيب نفهم معناه الأصلي.

التناوب في الحروف

لكل حرف من حروف الجر معنى يختص به، نص عليه اللغويون والنحويون نتيجة استقرائهم كلام العرب، وهذه المعاني مستفادة مما تؤديه هذه الحروف من أغراض داخل

التركيب، فقولهم الباء للإلصاق، إنما هو بالنظر إلى ما يؤديه حرف الباء من معنى في الاسم الذي دخل عليه، فالباء في قولنا: أمسكت باللص، أفادت أنني ألصقت يدي باللص ممسكاً إياه، ومثل ذلك، قولهم "من" لابتداء الغاية و"إلى" لانتهائها وعن للمجاوزة، وما إلى ذلك من معان، كل ذلك مبني على المعاني التي أحدثتها هذه الأحرف في الجملة من جهة العلاقة بين الفعل والاسم، غير أن القضية التي شغلت النحويين قديماً وحديثاً، هي تداخل حروف الجر بعضها مع بعض. (العطية، ٢٠٠٨: ٢٣٥) على سبيل المثال، حرف "اللام" وفق النظم الذي ورد فيه تغير معناه وهو إما بمعنى "التمليك" وإما بمعنى "الاستحقاق" وإما بمعنى "في" للظرفية وهذه المعاني لا تتحقق إلا بمصاحبة الكلمات التي وقعت في جواره. جاء اللام في الآيات الكثيرة بمعنى "التمليك" ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ (الحشر/٢٤) واللام بمعنى "الاستحقاق" في هذه الآية الكريمة: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ**﴾ (الحشر/٨) أي «إن استحقاق ذوي القربى لسهمهم من الفيء موقوف على الفقراء حتى لا يستحقه أغنياؤهم» (درويش، ١٩٩٩: ٤٨٠) وهذا المعنى مستفاد من السياق؛ لأن صيغة الآية ناصّة على الاستحقاق لهم تشريفاً لهم كذلك "الظرفية" في قول الله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ (الحشر/٢) كما نلاحظ أن الله تعالى جاء بحرف "اللام" بدل حرف "في" للظرفية.

التناوب في الجملة

من الأمور التي تدل على التناوب في الجمل، ترتبط بأسلوب الشرط أو شبهه.كلمة الشرط تطلب جملتين، يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضاً حصول مضمون الثانية، وأدوات الشرط كلمات وضعت لتدل على التعلق بين الجملتين، والحكم بسببية أولاهما ومسببية الثانية (ابن هشام، لا تا: ٢٧١-٢٧٢) وهذا يعني أن الشرط سبب والجواب مسبب عنه فكذلك جوابه يسدُ مسدَّ جواب الجزاء كما قال الفرّاء «إنّ العرب تحذف الجواب في موضع تعرف فيه معنى الجواب» (الفرّاء، ١٩٨٣: ٢٣١/١). كثيراً ما نرى أن القرآن الكريم يحذف جواب الشرط فيجعل الدليل نفس الجواب وهذا الأمر جائز إن كان في الكلام ما يدل عليه كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (الحشر/٤) اسم "من" في هذه الآية هو اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، و"يشاق" فعل الشرط، والجواب محذوف تقديره: يعاقب؛ (درويش، ١٩٩٩: ٤٧٠) لأن جملة "فإن الله شديد العقاب" لاتستطيع أن تكون مسببة لوقوع الشرط كما أننا نقول: إن

أمطرت السماء تبتل الأرض، فابتلال الأرض لا يتصور إلا بنزول المطر الذي هو سبب له والجملة التوليدية في غير كلام الله هي "من يشاق الله يعاقب فإن الله شديد العقاب" لكن تحولت الجمله عن أصلها الوضعي إلى ما كان في الآية الكريمة ومن أسباب الحذف في هذه الآية الكريمة الحث على الايجاز. من ظواهر الإيجاز الأخرى في هذه الآية هي ظاهرة الإدغام. تأتي هذه الظاهرة لغرض دلالي جمالي فالقرآن لا يتخذ اللغة النموذجية للمقياس فحسب بل قد ينجح إلى بعض لغات العرب على قلتها. يلاحظ أن بناء الفعلين "شاقوا ويشاق" على أساس الإدغام،لأنه لما ذكر لفظ "الله" وحده كان الإدغام، ولما جاء ذكر الرسول ﷺ معه أظهر الصوتان، ذلك ليعلم القارئ أن من يشاق الله، فإنه سيعاقبه عقاباً شديداً. أمّا التمثيل فهو نوع آخر من أنواع التناوب التي تقع موقع الجملة، حيث ينوب تركيب مجازي مكان تركيب آخر كقوله تعالى: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الحشر/٢) كما نرى أن الله تعالى ذكرُه بدل أن يقول: يهلكون أنفسهم بأيديهم قال "يخربون بيوتهم بأيديهم" حيث صارت مثلاً لمن بغبائه أو بغير قصد منه جنى على نفسه وعلى أهله وجرى المثل على كل موقفٍ مشابه يُساقُ. ومن التمثيل أيضاً قوله تعالى: ﴿**تَحسَبُهُم جَمِيعَاً وَقُلُوبُهُم شَتَّى**﴾ (الحشر/١٤) البنية العميقة للآية "لا يتعاضدون حقّ التعاضد" والمعنى: أنّهم لا يتّفقون على حرب المسلمين وإنّما قد آثر الله هذا التمثيل ليكون تجسيراً للمؤمنين وتشجيعاً لقلوبهم على قتالهم. (الزمخشري، ١٩٨٨: ٨٣/٦) النوع الآخر من أنواع التناوب على مستوى الجملة هو وقوع العلة موقع المعلول والاستغناء عن المعلول بذكر العلّة فقط كقوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُم حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ**﴾ (الحشر/٢) كما نلاحظ في هذه الآية الكريمة إنّما لم يقل الله تعالى: "وظنّوا أن لا يُخرَجوا" مع أنّ الكلام على خروجهم، من قوله تعالى "هو الذي أخرج الذين كفروا" فعدل عنه إلى "وظنّوا أنّهم مانتعهم حصونهم من الله" لقد أدى التغيير في البنية السطحية بهذه الحركة الأفقية وذلك ذكر العلّة بدل المعلول والاستغناء عنه «أي: مانعتُهم من إخراجهم استغناء عن ذكر المظنون بذكر علّة الظن والتقدير: وظنّوا أن لا يخرجوا لأنّهم تمنعهم حصونهم» (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٦٦/٢٨).

التقديم والتأخير

يعد التقديم والتأخير متغيرًا أسلوبيًا في اللغة لأنه عدول عن القاعدة العامة وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام، اذ يكون هذا العدول بمثابة منبه فني يعمد

إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميزة. (عبد المطّلب، ١٩٩٤: ٢٠٠) وكما قال جون كوهن: وهو «انزياح سياقي يصبح معلماً متميزاً للشعرية» (كوهن، ١٩٨٦: ١٨). فالتقديم كما أطلق عليه د. خليل أحمد عمايرة هو نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيرًا بذلك نمط الجملة، وناقلا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة هي عنصر من عناصر التحويل، بل هي من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحًا؛ لأن المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيقدمه أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره طلباً لإظهار وترتيب المعاني في النفس. (عمايرة، ١٩٨٤: ٨٨-٩٣) ومن التقديم، تقديم الخبر على المبتدأ كقوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ (الحشر/٢) البنية العميقة في هذه الآية الكريمة ـ في غير كلام الله ـ هي "وظنوا ان حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من الله" لقد أدى التغيير في البنية السطحية بهذه الحركة الأفقية وذلك بتقديم الخبر "مانعتهم" على المبتدأ "حصونهم" في النظم القرآني و«تغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضمير هم للدلالة على فرط وثوقهم بكونها حصينة، بحيث ظنوا أنه لايخرجهم منه أحد لأنهم في عزة ومنعة» (الصابوني، ١٩٨١: ٣٤٨/٣). وإذا كانت الجملة لم تتحول، أفقدت الآية الكريمة هذا الناتج الدلالي المقصود. ومن النماذج الأخرى الدالة على هذا النمط، أي تقديم الخبر على الابتداء في قوله تعالى: ﴿**فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا**﴾ (الحشر/١٧) والبنية العميقة أو الكفاية اللغوية لهذه الآية الكريمة ـ في غير كلام الله ـ هي "فكان ثبوتهما في النار عاقبتهما" ولكن بعد تطبيق قانون التمدّد على المبتدأ وبعد تطبيق قانون إعادة الترتيب كذلك، تحولت الجملة إلى البنية السطحية أو الأداء الكلامي لها، كما هو موجودة في الآية ونعني بالتمدد أو التوسع في العربية «أنه بدلا أن يكون المبتدأ والخبر أو الفاعل في الجملة مفرداً يأتي جملة أو مصدراً مؤولاً أي يحدث فيه توسع وتمدد» (المنصوري، ٢٠١٣: ٣٣٤). من الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم هي تقديم شبه الجملة "الجار والمجرور" على الخبر وهذا اللون كثير في النسق القرآني وله دلالات ودوافع تختلف حسب سياق الآية وهو يعد بعداً تحويلياً لركن الجملة التوليدي منه قول الله تعالى: ﴿**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ (الحشر/٢٤) قدم الخبر وهو شبه الجملة "له" على المبتدأ "الأسماء الحسنى" وهذه مخالفة أسلوبية تنبئ عن غرض ما، وذلك الغرض هو توجيه التفات السامع ولفت الأنظار إلى أنّ جميع الأسماء الحسنى يعنى بالله تعالى ولا يتجاوز عنه بالآخرين. ومثل هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿**وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النّارِ**﴾ (الحشر/ ٣) وَأصل النظم: وعذاب النار لهم في الآخرة. وإنما نظم التركيب على هذا النظم بأن قدِم ما يدل على الخبر ليحصل ضربٌ من التأكيد ولِما في تقديم الجار والمجرور من الاهتمام.

أسلوب القصر

القصر تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. (التفتازاني، ٢٠٠١: ١٨٠) أما في هذه السورة الكريمة فنشاهد ثلاثة أنماط من أشهر الطرق القصر الذي تكرر كثيرا حيث نرى ذلك عينة أسلوبية في هذه السورة وهي: ألف) نفي والاستثناء ب) ضمير الفصل ج) تعريف الطرفين "المسند والمسند اليه". إنّ القصر بطريقة "تعريف الطرفين" غالب في هذه السورة الكريمة كقوله تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ (الحشر/٢٢) كما نلاحظ أن في هذه الآية الكريمة أربعة طرق للقصر، ثلاثة منها بطريق تعريف الطرفين وواحدة منها بطريق النفي والاستثناء، أمّا القصر بطريق تعريف الطرفين فهو متمثل في هذه الجمل: "هو الله" و"هو عالم الغيب والشهادة" و"هو الرحمن الرحيم" والغرض الرئيسي منه هو قصر المسند على المسند إليه. في جانب آخر نرى أسلوب "النفي والاستثناء" فيها تجسم في تركيب "لا إله إلا الله" إن هذه الأسلوب يتصاعد فيه من إثبات وحدانية الله إلى إثبات الإلهية. أما ضمير الفصل وتعريف الطرفين، فشرط ضمير الفصل أن يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقد أجاز السهيلي، الجرجاني، الزمخشري والبيضاوي أن يجيء ضمير الفصل إذا كان الخبر مضارعا أو اسم فاعل مثله كما ذكر له العلماء ثلاث فوائد: تأكيد المسند اليه، والاختصاص وبيان أن المسند خبر لا صفة يعنون أنه يفيد التأكيد إذا لم يفد الاختصاص. (صباح، ١٩٨٦: ١٣٥) من مثل قوله تعالى في السوره الكريمة: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحشر/٨) هذه الصياغة دلالة على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد بطرق شتى: الجملة الاسمية، اسم الإشارة وكونه للبعيد تكريما، تعريف الصادقون وتوسيط ضمير الفصل لأنه محل توكيد دفعا لمن توهم في التشريك أو في الإسناد. كذلك قصر الله تعالى الإفساد على الكفار أي الكفار هم لا غيرهم المفسدون كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُم أَنفَسَهُم أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾ (الحشر/١٩) وقد تكاثرت أدوات التأكيد في تركيز شديد يقذف بهذه الحقيقة فكان الحكم في صورة الإسمية المفيدة للثبوت والدوام، وتعريف الطرفين المفيد لقصر وتوسط ضمير الفصل المؤكد لهذا الحصر وسبقية صدر الكلام بالنهي الدالة على الإرشاد والتنبيه «والقصر المستفاد من ضمير الفصل من قوله "أولئك هم الفاسقون" قصر إدّعائي للمبالغة في وصفهم بشدّة الفسق حتّى كأن فسق غيرهم ليس بفسق في جانب فسقهم» (ابن عاشور، ١٩٨٤: ١١٤/٢٨). مثل الآيتين كثير فقد جاء في عديد من الآيات تعقيبا على صفات عالية للمومنين أو سمات نازلة للكافرين من تأكيد المتقابلات.

الالتفات

إن الالتفات أسلوب من الأساليب البلاغية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بظاهرة الانزياح اللغوي؛ لأنه ظاهرة أسلوبية تمثل خروجاً عن اللغة المعيارية، أو انتهاكاً للصياغة المألوفة في الاستعمال العادي للغة. فهو تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر أو الانتقال بالأسلوب من صيغة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ، على أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأول، وبعبارة أخرى أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه (حسين، ١٩٨٤: ٢٨٠) ولقد تنوع أسلوب الالتفات في سورة الحديد ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية ومن هذا التنوع:

- الالتفات بين العدد

يتحقق هذا النمط من الالتفات عندما كان نسق الآية يجري على الإفراد ثم عدل عن هذا النسق إلى التثنية أو الجمع ومن المواطن القرآنية التي تدل على هذا النمط قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر/٩) كما نرى كان نسق الآية على الإفراد "من يوق شح نفسه" ثم نرى التحول إلى الجمع "فأولئك هم المفلحون".

- الالتفات بين التكلم والغيبة

وهو من مباحث الالتفات البديعة، شأنه شأن غيره من المباحث تتكاثر لطائفه وتتوافر محاسنه في آيات من القرآن ومن مواطن هذا العدول قوله سبحانه: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَرُونَ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ (الحشر/٢١-٢٢) موضع الالتفات هو "هو الله" بلفظ الغيبة بعد أنْ كان بلفظ التكلم في قوله "نضربها" وذلك لتأكيد الاعتناء بالله تعالى. هذا النوع من الالتفات من مباحث الالتفات البديعة، شأنه شأن غيره من المباحث تتكاثر لطائفه وتتوافر محاسنه في آيات من القرآن.

- العدول من الإضمار إلى الإظهار

فالإظهار والإضمار شكلا ضربا من ضروب المخالفة "العدول" وهو ما يسمى عند علماء الأسلوبية الغربيين "الانزياح" وتأسيسا على ذلك ترجم البلاغيون القدامى هذه المخالفة بأنها خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر أي وضع المظهر موضع المضمر وعكسه. قال تعالى في سورة الحشر: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحشر/١٨) فعدل الخطاب القرآني إلى إظهار لفظ الجلالة

بقوله "ان الله خبير" مكان الإضمار وقد زعم الزركشي أن الإظهار في الآية الكريمة لقصد التعظيم. (الزركشي، ١٩٨٨: ٤٨٥)

- العدول في البناء النحوي من الجملة الإسمية إلى الجملة الفعلية

إن التحول في بناء الجملة عن نمط الفعلية إلى نمط الإسمية أو العكس يتحقق صورة من الالتفات وهذه الصورة من التحول تفجأ المتلقي وتثير تأمله بحثاً عن مثيراتها السياقية (طبل، ١٩٩٨: ١٤٦) كقوله تعالى: ﴿**وَلا تَكونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِك هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (الحشر/١٩) حيث بدأت الآية الكريمة بالتعبير عن الكفار الذين نسوا الله بجملة فعلية "نسوا"، ثم عدل عن ذلك إلى التعبير عنه بالجملة الإسمية" أُوْلَئِكَ هم الْفَاسِقون".

النتائج

في نهاية دراستنا سورة الحشر المدنية التي تشتمل على أربع وعشرين آية، رصدنا بعض الملامح الأسلوبية فوصلنا إلى النتائج التالية:

- في المستوى الصوتي تبين لنا أن الموسيقى في هذه السورة الكريمة إنما تستند على مرتكزين اثنين: الأول: انسجام الألفاظ وتآلف أصواتها في السياق، من خلال الاستعمال المناسب للألفاظ، واختيار الموقع المناسب لها. الثاني: الإيقاع الناشئ من وجود بعض المحسنات البديعية في الآيات الكريمة، كالتكرار وتنسيق الصفات فجميع هذه الفنون يرتكز على تكرار أصوات أو ألفاظ بقصد تقوية المعاني وإبرازها ولفت النظر إليها. ظاهرة تنسيق الصفات وظفت في سياق معين وخضعت للتناغم والانسجام، لذلك أحدث ضروباً من الموسيقى والنغم.

أما المستوى الثاني فتكلمنا عن المفردات والجمل التي نابت مناب الأخرى حيث تثبت دراسة التناوب في هذه السورة أن ظاهرة التناوب في الأفعال أكثر انتشاراً في السورة بالنسبة إلى الأنماط الأخرى وهو يأتي إما بتضمين الفعل معنى آخر وإما بتضمين الفعل الذي لايأتي مع حرف الجر المختص به، وهذا التنوع الأسلوبي يحقق معنيين في آن واحد ولا يلغي معنى الفعل المنوب عنه. أمّا التناوب في الجمل فالغرض منه إقامة الجملة مقام الجملة الأخرى وهو نمط بديع في نوعه ولايأتي إلا للتوسع في المعاني التي لانراها في البنية العميقة؛ المعاني الدقيقة التي يرينا السياق والبنية السطحية والمستوى الفني من الكلام. كان التوسع في

المعاني، نقطة مشتركة من جمالية التناوب في الآيات الكريمة بأسرها، أما الغرض الرئيسي من التناوب في الآيات يختلف باختلاف المعاني والسياقات التي وردت فيها الآية.

- تبرز جماليات القصر في قوة الأسلوب الموجز المتلاحم الذي يتضمن المبالغة والتوكيد ويحفظ التوازن لمكوناته المتناقضة. كان قصر ضمير الفصل مع تعريف الطرفين "مسند ومسند اليه" من أهم طرق القصر في هذه السورة الكريمة وبه يتحول الكلام من كلام عادي إلى كلام يصنع في النفوس صنيع السحر .

– مثّل الالتفات انزياحا أسلوبيا أسهم إلى حد كبير في كسر توالي الخطاب وأحدث تنوعه تنوعا في الأساليب، وكان له دور مهم في مفاجأة المتلقي. لقد تنوع أسلوب الالتفات في سورة الحشر ليؤثر في السامع فيحثه على المتابعة والتفكير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م). *تفسير التحرير والتنوير*. ج٢٨، تونس: الدار التونسية للنشر.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (لا تا). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

٣. ابن هشام، عبدالله (لا تا). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تعليق: أبو عبدالله الجنوبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤. الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب (١٩٥٤م). *إعجاز القرآن*. تحقيق: سيد أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف.

٥. التفتازاني، سعد الدين مسعود (٢٠٠١م). *المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم*. تحقيق: عبدالحميد الهنداوي.

٦. الجرجاني، عبد القاهر (١٩٧٨م). *دلائل الإعجاز*. تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة.

٧. حامد، أحمد حسن (٢٠٠١م). *التضمين في العربية*. بيروت: الدار العربية للعلوم.

٨. حسين، عبد القادر (١٩٨٤م). *فن البلاغة*. ط ٢، بيروت: عالم الكتب.

٩. الخولي، أمين (١٩٦١م). *مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب*. بيروت: دار المعرفة.

١٠. درويش، أحمد (لا تا). *دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث*. القاهرة: دار غريب.

١١. درويش، محي الدين (١٩٩٩م). *إعراب القرآن الكريم وبيانه*. ج٧، ط٧، بيروت: دار ابن كثير.

١٢. الراغب، الإصفهاني (لا تا). *المفردات في غريب القرآن*. الرياض: مكتبة نزار المصطفى الباز.

١٣. الرافعي، مصطفى صادق (لا تا). *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. ط٨، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٤. زرقة، أحمد (١٩٩٣م). *أسرار الحروف*. دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

١٥. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (١٩٨٨م). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار جيل.

١٦. الزمخشري، جار الله (١٩٨٨م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، ج٦، الرياض: مكتبة العبيكان.

١٧. سليمان، فتح الله أحمد (٢٠٠٨م). *الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية*. القاهرة: دار الآفاق العربية.

١٨. شفيعي كدكني، محمد رضا (١٣٨٦ش). *موسيقي شعر*. ط١٠، طهران: مؤسسة انتشارات آگاه.

١٩. الصابوني، محمد علي (١٩٨١م). *صفوة التفاسير*. ج٣، ط٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٠. صباح، عبيد (١٩٨٦م). *أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية*. القاهرة: مطبعة الأمانية.

٢١. طبل، حسن (١٩٩٨م). *أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية*. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٢. عاصي، ميشال (لا تا). *الفن والأدب بحث في الجماليات والأنواع الأدبية*. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

٢٣. عبد اللطيف، محمد حماسة (٢٠٠٠م). *النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي*. بيروت: دار الشروق.

٢٤. عبد المطلب، محمد (١٩٩٤م). *البلاغة والأسلوبية*. القاهرة: دار نوبار.

٢٥. العطية، أحمد مطر (٢٠٠٨م). *حروف الجر بين النيابة والتضمين*. دمشق، مجلة التراث العربي، العدد١١٢، صص٢٣٣-٢٦١.

٢٦. عمايرة، خليل أحمد (١٩٨٤م). في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق. جدة: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

٢٧. عياش، منذر (١٩٩٠م). *مقالات في الأسلوبية*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب.

٢٨. الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (١٩٨٣م). *معاني القرآن*. تحقيق: أحمد يوسف تجاني ومحمد علي النجار، ط٣، بيروت: عالم الكتب.

٢٩. قصبجي، عصام؛ وويس، أحمد محمد (٢٠٠٣م). *الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية*، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية.

٣٠. كوهن، جون (١٩٨٦م). *بنية اللغة الشعرية*. ترجمة: محمد الولي؛ محمد العمري، الدار البيضاء: دار توبقال.

٣١. محمد رضايي، علي رضا؛ والحسيني، سكينة (٢٠١٦م). «دراسة لغوية وأسلوبية لسورة لقمان». مجلّة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، السنة ١٢، العدد ٣، صص٥٤٧-٥٦٧.

٣٢. محمود خليل، إبراهيم (٢٠١١م). *النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك*. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

٣٣. المسدّي، عبد السلام (لا تا). *الأسلوبية والأسلوب*. ط٣، [لا مك]: الدار العربية للكتاب.

٣٤. المنصوري، أحمد المهدي (٢٠١٣م). «النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها في النحو العربي». *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات*، العدد ٢٩، صص٣٢٣-٣٤٤.